الصائدون

مسرحية في فصليه بقلم "جهياد"

هـــذه المسرحيه نالت احـدى الجائزتين اللتين رأت« الآداب » ان تمنحها لافضل مسرحيتـــين من المسرحيات التي تلقتها .

اشخاص المسرحيـــة

محمد : ضحفي في الثلاثين من عمره ، جزائري

جانيت : صديقة محمد . شابة فرنسية.

جان : الاخ الصغير لجانيت ، يتراوح عمره بين العاشرة والثانية عشرة .

بير : رجل فرنسي شيخ .

بسعدي الأزرق : جزائري مديد القامة يناهز عمره الاربعين.

عبد الكريم : جزائري ثالث يبدو في الخمسين من عمره ، يرتدي بزة جيش التحرير الجزائري .

سي احمد البربري : شاب جزائري آخر ، قلق ، يبدو عليه بعض التردد في سلوكه ، وفي نظراته الشاردة ، متعلم وحائز على شهادة الهندسة من فرنسا .

ابراهيم الصغير : صبي يجاوز الثالثة عشرة من عمره ، مرح ، نشيط ، يحمل بندقيته بكل اعتزاز ويرتدي هو ايضاً بزة جيش التحرير الجزائري فتبدو كبيرة قليلا على جسده الصغير .

جميع الرجال في الفصل الثاني يرتدون بزة جيش التحرير الجزائري . ويتمنطقون باحزمة الرصاص ، وبنادق وجيوب صغيرة لقنابل يدويه على جنوبهم .

الفصل الاول

الديكور

حجرة عند الحائط المواجه للجمهور . شباك مسدل الستائر ، كراسي رخيصة وطاولة في منتصف الحجرة فوقها كتب وجرائد مبعثرة. في الركن الأيمن سرير جانيت وملابس امرأة مبعثرة فوق السرير . ضجيج واصوات ابواق للسيارات يسمع من خلال النافذة . ساعة منضدة . وصورة لام جانيت معلقة فوق رأس السرير بجانب الشباك الايمن .

المكان : باريس ، شارع شيرش ميدى .

الزمان : امسية يوم أحد .

المشهد الاول

(يسمع طرق على الباب من الجهة اليسرى ، جانيت في يدها ابريق صغير للقهوة ، تخرج من يمين المسرح من حجرة اخرى)

جانيت : (بسرعة) من .. ؟! (تضع ابريق القهوة على الطاولة)

الصوت : افتحي ... انا محمد .

جانيت : حسناً .. (تتقدم نحو الباب فرحة تمسد ثوبها بيديها بحركة غريزية)

محمد : مساء الخير (يدخل الحجرة مقطب الوجه)

جانيت : مساء الخير .. (تغلق الباب ، يصيبها برود نفسي)

محمد : (يأخذ كرسياً ثم يجلس مطرقاً)

محمد : جانيت ... (صمت قصير) ... اردت ... (هنيهة) ... (مغيراً الحديث لموضوع آخر ..)

آه ، سمعت باجتماعات مصنعكم .. !

جانيت : (بهدوء) .. أكتبت شيئاً لصحيفتك .. ؟ ؟

محمد : كلا . (هنيهة) جانيت.. جئتك أفضي اليك بأمر هام جداً (هنيهة) بالنسبة لي ، بالنسبة لكلينا .

جانيت : تريد ان لا نخرج معاً اذن ؟! (هنيهة) ريبورتاج جديد ، استدعاء رئيس التحرير لك .. ثم مشاغل الجريدة .. ! ؟ (تضحك)

محمد : اخبريني كيف حدث الاجتماع عندكم .

جانيت : لاجل ان تكتب شيئاً جديداً .. ها .. (تبتسم)

محمد : كلا .. كلا .. اخبريني فقط .

جانيت : ثمة اشياء تحدث من اجلكم ، كثيرة ، كثيرة جداً .

محمد : (بفرح) أجل .. أجل .. صحيح . (فترة صمت قصيرة) آه

جانيت (متذكراً احداثاً محزنة) لن يقدر لي ثانية ان ارى وجهك (بغضب)ولا أستطيع ان اواصل عيشي هنا (يضرب فخذه بشدة) لا اقدر .. لا اقدر .. ينبغي ان اموت هناك . يجب ان أتحمل كل شيء من اجلهم .

جانيت : لم أعد أفهم ماذا تريد (تأخذ يده بين يديها) قل لي ، (بتعجب) يدك باردة كالجليد ، وعيناك حزينتان (تنظر في وجهه)

محمد : (بخمول) احس بالهرم يا حبيبتي ، أحس كما لو كان عمري قرناً كاملا ..

جانيت : سأهيء لك فنجاناً من القهوة .. (تهم بالقيام)

محمد : (مقاطعاً) كلا .. ألديك ما يؤكل ؟

جانيت : ساجلب لك قطعة لحم وجبنة .. (تخرج للحجرة الثانية)

(يسحب كرسيه امام الطاولة بعد ان يزيح بعض الكتب والجرائد الى ركن آخر منها)

(تدخل جانيت في يديها صحنان ، تبقى واقفة امامه)

محمد : أجلسي جنبي يا صديقتي ، اريدك دوماً هنا ، اضغطي على يدي لاحس دفء راحتيك (هنيهة) سوف ارحل بعيداً عنك . وهناك بغفلة سوف تطرحني رصاصة طائشة وتستقر في قلبي (مبتسماً بسخرية) وسيقف لاول مرة عن الخفقان ، وسأغدو جيفة ، بارداً . متعفناً ! (ينهض

٦٥

– يبدو الانسان وديعاً كالطفل حين يمضغ طعامه

(المشهد الأول من الفصل الاول)

غاضباً) آه ، لماذا ؟ ؟ لماذا فرضوا الموت علينا ؟ انهم يلهبون ظهورنا بسياط من الاحتقار والمقت البغيض (صمت طويل) ، جانيت (ببطء) أتساءل مرات كثيرة في اعماقي ، أي قوة لعينة تثبت اقدامهم فوق الارض ، شامخين بانوفهم ؟ (هنيهة) ولكن الصرخات التي تدوّم في احشائي تندفع عبر اسناني (هنيهة) جانيت ، يجب ان تدركي ان طغيانهم واحتقارهم وخوفهم منا ، يمكن عند ساعات العمل ونتاجاتها . فمن نقط الدم المحترقة في عروقنا ومن حبات العرق المنحدرة من جباهنا ، يتراكم ذهبهم اللعين (بغضب) من موت اطفالنا وتشردنا وبؤسنا الاسود يقوم قانونهم .. (بغضب عنيف) .. آه ...

جانيت : (تعلو وجهها غمة كدره) ان اعصابك تحترق كبارود ميت .

محمد : (يطرق مهموماً) أسمعيني صوتك ، حدثيني عن المصنع ، عن عمالنا هناك !

جانيت : يجب ان تأكل اولا .. !

محمد : تماماً ، يبدو الانسان وديعاً كالطفل حين يمضغ طعامه.

جانيت : لا ، اريدك ان تأكل قليلا .

محمد : حسناً ، حين أبدأ بالتهام طعامي، يجب ان تحدثيني (يأخذ بالاكل وارتشاف فنجان قهوته)

جانيت : (تأخذ فنجانها بيديها وعيناها ساهمتان) .. حتى الساعة الثامنة . كان كل شيء يبدو طبيعياً ، وما ان قاربت النصف بعد التاسعة ، حتى بدأ الجميع يتهامسون ، وتكلموا بعد ئذ بلغط وضجيج .. الحرب .. الحرب .. الحقود .. والضرائب وساعات العمل الطويلة ، ثم اجتماعنا في باحة المصنع (تلتفت اليه) تصور ، مئات ، آلاف من البدلات الزرق ، كانت تتهاوج ، ويضجون بوعيد مخيف (في حماس) انهم يريدون حرباً قذرة اخرى . ثم .. ثم فجأة يخرس الجميع (هنيهة) جورج وسليك وتريفورد وجاك الشيخ واندريه حتى الشباب الصغار . وصعدت لوسي فوق دوار عتيق مطروح فوق الارض ترقب الجموع بوجه قاس واصابع يديها باردة ، وكنت اسندها من الخلف حتى ان ساقي كانتا ترتجفان ، وحين تفوهت بكلماتها النيرة ، طفرت الدموع الى عينيها . قالت وهي تلطم خديها : لا تذهبوا .. لا تذهبوا يا اولادي الى الموت. يجب ان لا تذهبوا (هنيهة) كان صوتها جريحاً ، متشنجاً ، مرعباً .

محمد : اذن كان مشهداً رائعاً ؟ (هنيهه) ولقد كنت انت الاخرى رائعة ايضاً يا صديقتي

جانيت : هيه ... (تبتسم)

محمد : قولي يا جانيت ، ماذا كنت تعملين لو كنت في موقفي .. ؟

جانيت : انتزع ثيابي واسير الى ميدان المعركة .

(تشد على جذعها في حركة اعتزاز بنفسها)

محمد : (بفرح) اجل .. (هنيهه وبألم) اجل .. وسوف يبتعد احدنا عن الآخر .

محمد : (يبعد الصحون من امامه) جانيت ، انظري في عيني جيداً ، وتذكري لونهما ، فبعد أيام ساكون ملقى على ظهري ، وصدري مثقوب كالغربال ، وهاتان العينان متصلبتا النظرات على زرقة السماء وعتمتها ، والريح والمطر سوف يصفعان وجهي ويدي وجسدي بشراسة ، ولكنني لا أريم حراكاً .. ! هيه (هنيهه) .. كم يلذ لي ان اموت في حقل من الحنطة الخضراء في بلادي . وعلى مبعدة عند الطرف الآخر (ينهض) من الحقل ، تسمع خفقات مويجات الماء في ضلوع الساقية الطينية (يتقدم امام واجهة المسرح) وتحلق فوق جثتي طيور مرحة في وهج الشمس الارجواني الدافيء (فترة صمت قصير) سأهيء (بلهجة سريعة وحاده) اغراضي (هنيهه) .. وقد استحصلت على بعض الفرنكات من اصدقائي في الصحيفة وتولى بعض ابناء بلادك الطيبين تهريبي وآخرين كثيرين الى بلادي ..

جانيت : اريد ان احدثك .. (هنيهه يعود محمد ويجلس) .. لقد تلفظت بالموت بكثرة في بداية حديثك (بصوت حاد) أأنت خائف ؟ ! قل نعم ام لا ؟ !

محمد : (متوتراً) لست بطلا يا حبيبتي ، لست بطلا ابداً (بتواضع) انني انسان بسيط مغمور في صخب الحياة ، صحفي لاحدى الصحف الطيبة (الى جانيت في حده) ستنفجر في جسدي دوامه هائلة مرعبة ، اذا بقيت اصطاد ذيول الاخبار هنا وهناك (هنيهه) ينبغي ان اقاتل في بلادي .. يجب ..

جانيت : (تنظر اليه في عناد ومقاطعة في هدوء) .. في ايام المقاومة ، كنا نقابل الكثيرين الذين يرمون القتال ونتعرف عليهم ، بعضهم يتردد وتنزوي افواههم بشكل حاد ومرعب (مقلده لهجتهم) .. لدي اطفال وزوجة وعمة .. وبعضهم كان عابساً كثيفاً ، يقول في صرامة (متخذة لهجتها رصانة جديدة) ، نريد ان نقاتل ويهزون رؤوسهم ، كفى اعطونا سلاحاً ! (هنيهة) وكنا نقول في اعماقنا ، سيعرف هؤلاء كيف يقاتلون بصورة رائعة. والايام تسجل ارتفاعاً عظيماً في عدد المقاتلين . عمال وصحفيون ، فنانون وبعض البرجوازيين الصغار وفلاحون . جميعهم كانوا يقاتلون ، وكان لديهم حقاً بعض الخوف ..

محمد : جانيت ! انظري الى يدي (يطرق برأسه اليهما) أحس ان ارتجافة خفيفة تسري في عظامها . عجباً ! ، حين يشتعل الامل

في رآسي وتندفع في عروقي قوة فظيعة ، وآمل ان اقاتل احسن قتال ، وامام عيني تندفع صور المعارك والدم والمطاردة ، وهنا ، وفي غرفتك (ناظراً في ارجائها) يبعث مجرد التصور لهذه الأخيلة ، الإرتجاف الى يدي والقلق الى باطني ..

جانيت : (مجيبة في رقة) ذلك لانها عواطف صادقة ، متواضعة وأمينة .

محمد : (محدقاً في وجهها) أجل . انك تعبرين بكلمات بسيطة .

جانيت : (مبتسمة) لا تنس ، فلقد كنت ، قبل الحرب ، معلمة صغيرة .

محمد : طردوك ... ! ؟ ؟

جانيت : (بهدوء وبعد هنيهة) .. نعم . أسمع يا محمد (ملتفته بشدة اليه) لدي انا خوفي وقلقي ايضاً (هنيهه) حين أخلو الى سريري في الليل وبعد ان اودعك ، افكر فيك ، في عتمة الغرفة ، أود لو ان أبصق على يديك ، أتصدقني ! كيف أستطيع ان اجمع عدواً وحبيباً ، متمثلا في شخصك الجزائري بآن واحد ؟ ؟ (بلهجة غاضبة) كيف ؟ ؟ (تقترب منه) أجل .. أجل كيف ؟ ؟ أترى كيف يدفعوننا من الخلف ! ؟ في أحدى أيديهم خبز رخيص وفي الأخرى حربة مسمومة (فترة صمت قصيرة — بهدوء) أطلب اليك ان تعيش ، ان ترجع ، لاشبك يدي خلف ظهرك ، واتحسس انفاسك الدافئة تغرق وجنتي ورقبتي (هنيهه) ولاجل ان أعبر اليك ، يجب ان اجتاز بركة دماء مرعبة ، يجب ان يموت الكثيرون من الجنود وان يغرق هنري زوج فرانسواز في بحر الدم .. (مصرة باسنانها) كم هي قذرة هذى الحياة .. آه !

محمد : هي ليست من صنع ايدينا يا عزيزتي .

جانيت : أجل .. فلقد ولدنا من احشاء هذا العالم .

محمد : وسوف .. ابتعد انا الآخر يا جاني ، لربما مدى الحياة (هنيهه) حين استعرض في داكرتي كل السنين التي قضيتها في فرنسا ، وهنا في باريس ، احس انها مجرد حلم عابر .

جانيت : (بتأنيب) حتى انا ... ! ؟

محمد : كلا .. انك تأخذين في وجودي مكاناً موضوعياً صائباً .

جانيت : آ .. لقد بدأت تتكلم بصورة حسنة .

محمد : هل هزتك يا جيني رغبة عنيفة في رؤية تربة بلادك ! ؟ أصغر الاماكن واحقرها في مدينتك ؟ (هنيهة) اناسها ! لباسهم ! ! تلك النفحة الصارمة والرائعة الحنونه في كلماتهم ولهجاتهم ؟ ! (محدقاً في وجهها) أأحسست بكل هذا حين تكونين بعيدة عنها .. ؟ !

جانيت : (في اقتضاب) لم اغادر فرنسا منذ ولادتي .

محمد : حتى ولا مكان ولادتك ؟

جانيت : كلا .. (هنيهة) .. لقد ولدت في مرسيليا (يأخذ صوتها بالبطء) وكان ابي بائعاً في دكان صغير قرب المرفأ وفي حي البحارة .. ولازلت اتذكر شارعنا الضيق والشمس الدافئة والمسترخية فوق جدران البيوت الكالحة والقديمة ، ورائحة السمك تنتشر في الجو ، (هنيهة) وفي صحوة الايام الباردة ، تفترش النسوة أعتاب بيوتهن ويتدثرن بالشمس الساخنة .. (الصوت يأخذ بالبطء اكثر) وكنا نلعب نحن الصبية آنذاك بترك مياه المطر ويحمر البرد اجسادنا الصغيرة (يطفأ مصباح من المسرح) وتكون أمي آنذاك مشغلة بتهيئة طعامنا ، ويصيح بي أبي بين حين وآخر ان اكف عن اللعب ! (هنيهه — يطفأ مصباح آخر) كان دوماً عصبي المزاج يؤرقه شيء غامض ! (بتألم) لقد كان طيباً ، خائفاً من الحياة (فترة صمت قصير) .. ثم .. اكملت دراستي واصبحت معلمة صغيرة (تبتسم) يا الله كم كانت فرحة امي عظيمة ورائعة ؟ (متابعة بعد هنيهة) وفي احدى ليالي الحرب المعتمة ماتا كلاهما ، وفي الصباح وقريب البرج في باريس ، هنا ، كان نصف زقاقنا قد تحول الى جثث ودم وخرائب ، ودخان يعلو من بين انقاضها في هدوء .. (تسترخي على كرسيها)

محمد : انك تتألمين (محدقاً في وجهها)

جانيت : هكذا تجد ان مصيبتنا مشتركة بعمق في جذورها !

محمد : صحيح .. صحيح جداً .

جانيت : ولهذا لا اريد ان تموت .

محمد : اكنت الاول في حياتك يا جانيت ؟ !

جانيت : (معقبة بسرعة) حين نحس بدنو العدم منا ، نريدان نقبض بايدينا على كل الوجود .

محمد : كلا .. كلا لم تفهمي غرضي .

جانيت : (مجيبة في هدوء) لم يكن ثمة احد قبلك ، شغل اعماقي .

محمد : سأغمض عيني في جبهات القتال على طيفك ، واقبلك اروع قبلاتي .

جانيت : وستضمني بين ذراعيك (مطرقة) ولن اقاوم مطلقاً (تغطي وجهها بيديها)

(محمد تنتابه فترة صمت طويل ، ويسمع صوت جان ينادي من الخارج)

الصوت : جانيت ، جانيت ..

المشهد الثاني

المشهد نفسه والأشخاص ، محمد ، جانيت ، جان ، وبيير الشيخ .

جان : (يدخل فرحاً ، الى جانيت) لقد جلبت العم بيير معي (يستمر في ضحكه)

بيير : (يدخل خلف جان) هيه (الى محمد) هوذا العربي ثانية ، كيف حالك ؟

(جان يجلس قرب أخته وبيير يسحب كرسياً يجلس فوقه غير ملتفت الى جواب سؤاله)

محمد : مرحباً يا بيير ..

بيير : مرحباً (الى جانيت) كان يجرني بشدة ويتصورني يافعاً مثله (ناظراً الى جان ومبتسماً)

(جان يضحك)

محمد : ولكن روحك فتيه ..

بيير : لا ، لا يا ابني . احس بالشيخوخة في نخاع عظامي (هنيهة) احس بتعب كبير في قلبي (مقاطعاً هدوءه ، وفي لهجة حادة سريعة الى محمد) أسمعت اخباراً حول الحرب ؟ ! ها ؟ ؟

محمد : ليس من السهولة . ان تعرف حقيقة ما يجري هناك

بيير : (يعطس ويشعل غليونه .. مطرقاً) لا زال لدي أنف حسن الشم (هنيهه) ولكنني رغم كل شيء . أشم رائحة نتنه ! تفو ! ! (يبصق على الارض) أي شيء هذا ! ؟

جانيت : (بغضب) انها معركة خيانة قذرة تدبر لنا من الخلف .

بير : (يبتسم) لا زلنا في مساء الأحد يا بنتي فلا تغضبي (هنيهه — الى محمد) .. رغم كبري يا محمد ، اشعر شعوراً حقيقياً بفظاعة الحرب هناك و ...

محمد : (مقاطعاً) لقد عشت الحرب مرة ، اليس كذلك ؟ !

بيير : (دون ان يهتم بمواصلة حديثه السابق) .. نعم .. (بصوت واطيء

٦٧

يحدث نفسه) أيام التراجع والخوف (الى محمد) .. كان الموت يرفرف بقسوة فوق الرؤوس، والجثث والرماد والدخان وطوفان الامراض والجوع ، وفي اعوام ١٧ ، ١٨ ، دأبنا نتمرد ، كنا نرمي السلاح في الالزاس والموزيل وبوش درون ، في الرون وفي اللوار واللورين ونصرخ في وجوه الضباط: لتسقط الحرب ، ليسقط الطغاة ، ليعش السلام .. (فترة صمت قصير . بسخرية) .. هيه .. كنا نبحث كالدجاج في اكوام القاذورات عن رؤوس البطاطا المتعفنة المسودة .. (يأخذ نفساً من غليونه) .. ثم تعلمت بحق : لاجل ان أبعد الشر والخوف من رأسي ينبغي ان أشبع . دوماً ، معدتي بصورة جيدة .. هيه .. (يضحك)

جانيت : آه .. لكم اود ان اصرخ بقوة في وسط الشارع : انهم يدبرون لنا قبراً كبيراً ايها الناس ..

بيير : هيه .. (يضحك) .. سيضعونك في السجن يا أبنتي .. هيه .. انهم لا يحترمون احداً في هذه الايام ..

محمد : انهم يجهدون انفسهم ليجعلونا قطاعاً للطرق (الى بيير) تصور يا بيير ، انهم يرويدون ان التقط بيدي سكيناً حاداً لاغرسه في صدر جانيت وفي عيني جان ، يريدون ان ادوس طيبتك بنعلي ، ثم (بغضب) انزوي في ركن مظلم وقلبي يرتجف ، ويداي تقطران دماً ، لأجل ان ادفع الى رأسهم ذكريات مطاردتهم لنا .. (يهز رأسه بسخرية)

بيير : فوق منكبيك رأس حسن يا ابني

محمد : (يطرق صامتاً) ..

جانيت : (في نفسها) .. ولكنهم سوف يخسرون حتماً .. سيخسرون !! وسنخرج الى الشوارع ونتعانق وفي ايدينا اغصان الزيتون واضمامات الزهور (بوجه حالم) .. سيقبل بعضننا بعضا بحنان واخوة واحترام .. (تضم عينيها بكفيها) .. يا الله كم ستغدو الحياة آنذاك رائعة وبهيجة

بيير : هيه .. (يبتسم) أنا .. (باصرار ويومىء الى صدره باصبعه) .. أنا استغرب كيف انهم نظموا الحياة بطريقة لم تخطر حتى على بال الشيطان .. هيه .. انا اراهن ان الشيطان لم يكن قادراً على ان يفكر مثلهم .. هيه .. (هنيهة) .. كنا نغوص الى اعماق الارض وكانت اعماقها تنفث الحرارة في امعائنا . ونكاد نحس بالاختناق احياناً كثيرة .. (بحدة) واصلوا الحفر .. ! الف قدم تحت سطح الارض .. الف وخمسايه ... الفين ... ثلاثة آلاف . وكنا نطيع ، ونبقى نهبط الى الاعماق مستخرجين الفحم .. وتمر الايام والسنون ثم .. فجأة ، وعند ركن ، لا نعيره اي انتباه ، ينفجر في دوي مرعب ، هائل ، قلب الارض تحت اقدامنا ، ثم تكون الطامة (فترة صمت قصير) .

(في لهجة هادئة خشنة) .. ويصدر في الغد بلاغ رسمي : دفن تحت انهيار منجم الفحم في منطقة كذا ، خمسون عاملاً ولا زالت فرق الانقاذ ترفع بعض الانقاض .. هيه .. ! خمسون عاملا .. اطفالهم وذكرياتهم ونساؤهم.. وآمالهم التي كانت رؤوسهم الصغيرة المدورة تضيق بها ؟! كيف تعذبوا .. ؟! كيف هي صرخاتهم المخيفة قبل ان تمتلىء بلاعيمهم بالتراب ؟! ماذا قالوا ؟ بم فكر كل منهم .. ! ؟ كفى .. هيه .. لقد انطفأت شعلتهم في صمت .. (مستطرداً بذكرياته) .. وتقرع اجراس الكنائس في حزن هادئ ، ويخيم الصمت على الرؤوس وحتى الاطفال يرتدون التجربة في ألم .. (مطرقاً في حزن)

جانيت : .. ويموت الآخرون من جراء الحرب .. (بعمق) العمل والحرب .. (الى الجميع في لهجة غاضبة) اين هي اذن غضبة الناس ؟؟ اين هي الآن ؟!

بيير : حسناً ، استمري .

جانيت : .. وفي ايام المقاومة . كان بصاق القواديين والجزارين وحثالة الناس يغرق ارصفة شوارعنا ، ومجاري المياه تجرف الصديد والوحل الممتزج بدم الضحايا . فلقد كان لكل يوم جديد ضحاياه (هنيهة) هكذا كنا نعيش ، وكان لابد من روح جديدة غاضبة مقاتلة ، من أمل وعمل جديدين .. (لنفسها) .. سوف يشق علي ان انسى الأيام القاتمة والرائعة . ايام الخيانات والمقاومة .

محمد : جاني .. (يحدق في وجهها) .. لا اعرف كيف اعبر عن سعادتي بك. (يتمتم بخجل ثم يلتفت الى بيير)

بيير : هيه .. حسناً (يبتسم) سوف آخذ جان لنلهو قرب العمة ماري ، (الى جان) هيا يا جان (يتقدم ببطء نحو جان)

جان : (الى جانيت) أأذهب .. ؟ ؟

جانيت : (تومىء برأسها علامة الموافقة)

جان : (الى محمد) أتأخذني الى السينما كما وعدتني .. ؟ ؟

محمد : أجل .. أجل يا جان (يضع يده بألم وحنان فوق رأس جان) (يخرجان ..)

المشهد الثالث

جانيت ، محمد

(يجلسان متقابلين حول الطاولة)

محمد : كم انت رائعة يا جاني . تركت بيير يحس بضعف رغبتي في الانفراد بك (يأخذ يديها بين يديه) كم أنت رائعة ..

جانيت : اغمض عينيك قليلا .. وسأغمض عيني .

محمد : لماذا ؟ ؟

جانيت : (في صوت خافت) .. لأحس وجودنا كبشر ، يجب ان نعيش ونحب ونسعد .

محمد : نعم .. نعم يا عزيزتي

جانيت : ستذهب ، وستكون امامي فرصة متابعة عملي ، سأجهد ان أعيش حتى اراك ثانية وسأقرأ كثيراً (مسترسلة) وفي امسية باردة ستجلس في حجرتنا الصغيرة الدافئة، بينما اكون منشغلة بتهيئة قهوة لك بعد أكلنا مقانق طازجة وبندورة وحلويات وشربنا كمية من الشراب ، تكون انت منشغلا في قراءة صحف المساء ، وانظر اليك خلسة فارى جيداً الاوردة الزرق النافرة في جبهتك المتجعدة ، ومنخريك يتحركان في هدوء متزن ، ثم ، استلقي جنبك (هنيهة) اقرأ بلزاك او شيلي ولربما اقرأ اراغون او همنغواي او هوارد فاست الطيب .. (فترة صمت قصير)

محمد : (ساهماً) حديثي اكثر

جانيت : (منتفضة) كلا.. كلا، سأستعيد هدوئي ، وعليك ان تعمل بادراك .

محمد : (مبتسماً بعد فترة صمت قصير) نعم يا استاذتي ..

جانيت : ليس لدي رغبة في متابعة كلامي (تصمت لحظة) حين اتكلم احس بأوردة رقبتي تتمزق

محمد : ولكني سأسافر غداً ؟ ؟

(جانيت تطرق برأسها مفكرة)

جانيت : ستكون ملزماً بانجاز مهمة قاسية ، فالتحف جيداً اذا ما نمت في العراء (تصمت) وكن حذراً على سلاحك (بتريث) ومن الافضل ان تستحم بالماء البارد لانه يقيك الزكام

محمد : أهذه تعليمات جديدة ؟ ؟ (يبتسم)

٦٨

جانيت : (تهم بالقيام ثم تبقى جالسه) لا تمزح كثيراً .. ان كل شي متوقف عليك .

محمد : (يقف) وعليك وعلى بيير والعمة مارى ولوسي وجان واصدقائي في الصحيفة ، على نحالكم وعلى جميع ابناء شعبك الطيبين وباقي الناس الآخرين في كل ارجاء الارض (بصوت مرتفع وقوي) أوليس من حقنا اذن ، في عصرنا ، ان نفتخر باننا لسنا وحيدين في المعترك .. ؟ (هنيهه) اننا ندرك جيداً يا جانيت ان قلوباً تنبض بالحب لنا ، من وراء سهول الكنج وبراهما بوترا ، من هضبات التبت ومن فوق منائر اسطنبول وازقتها الرخامية الضيقة (يتقدم نحو مقدمة المسرح) من سخونة الجنوب ومن مزارع ومعامل العراق الصامت ، من احياء بيروت المكتظة بيوتها كعلب الكبريت ومن شوارع دمشق العظيمة ، من القاهرة الرافعة الرأس بشمم ، من كل مكان فوق الارض ..

جانيت : أجل ، ان ثورتكم هي ثورتنا ، وثورات كل عبيد الأرض الهادره والمخيفة (فترة صمت) .

(محمد يشعل لفافة تبغ ثم يعود ليجلس)

جانيت (تتكلم بصوت هادئ) .. اسمع يا محمد ، احياناً كثيرة يعصف بي الشك القاتل واتساءل بضعف في قلبي : كيف يتسنى لي ان احبك ؟ ! (بتمهل وغضب ، تقوم وتتقدم الى امام) ان أمد يدي الى صدرك العريض الاسمر واتحسس نبضات قلبك ، حين تصرخ باذني ان اذهب لاقاتل الفرنسيين في الجزائر .. (تتحرك لركن من المسرح) .. ولكن واقعاً حياً يتراءى لي فجأة . يجب علي ان اثبت قدمي في تربته لابقى واقفة . ولاجل ان اتحول الى حيوان يدب على اربعة . ويلطم هذا الواقع وجهي ، بل كل الوجوه بتساؤل مريع لا يعرف الرحمة : اين يكمن الحق ؟؟ اي الوجوه في هذه القضية يفرض وجه الحياة الاكثر تجدداً واشراقاً ؟ ! .. ثم (تصمت لحظة) . ثم لا البث ان اطمئن وتزايلني مرارة القلق ، فاحبك (في لهجة اعجاب) . واود لو أجدك جنبي لأدس رأسي بين ذراعيك الدافئتين ، لاعيش قربك واحثك على بعدي منك ان تقتل بصورة حسنة وجيدة ، وان تتفاخر باعتزاز ورجولة عن عدد ضحاياك من جنود اعدائك ، (بتهكم) ابناء شعبي وابناء شعوب اخرى (في حذر) وان تكون بارعاً في تجنب رصاص طائش يتربص بك ، قد يودي بقلبك الى التوقف ويفرغ رأسك من الاحلام (هنيهة) واطلب ان تكتب الي باستمرار عن اروع معاركك ، وتشير باستهجان وبعطف الى الخوف الاسود الذي ينخر كالسرطان عظامهم وجلدات بطونهم المرتجفة ، وعن اغانيكم الطيبة المترددة اصداؤها فوق الجبال وتحت الاقبية في المدن الزاخرة بالضجيج وبالحركة ، والمنبثقة اناشيدكم الرائعة من فسحات النور (تتوقف لحظة) .. كيف تراني ؟ !

محمد : آه يا صديقتي تتكلمين كاصدق شاعرة عظيمة ..

جانيت : ليتني كنت مثل فرانسواز صديقتي العاملة في مخزن بول قرب الحي اللاتيني ، ساذجة (باعجاب) وديعة كجان وصغيرة كروح الاطفال (هنيهه) كانت تهمس في اذني باسرارها ووجهها يطفح في دم ساخن فوار (فترة صمت قصير) انها تحب هنري وقبل اسابيع ثلاثة تزوجت منه (معقبة في لهجة سريعة) وأستأجرا شقة صغيرة (ضاحكة ومقلدة حركات فرنسواز) كانت تجري من يدي وهي تعدو بخفة القط وتقول لي في فرح عظيم « هذه حجرة النوم .. وهذه لطعامنا ، تعالى اريك مطبخي » (هنيهه) فلم املك الا ان اقبلها ورأيت دموع فرحتها .. (ملتفتة الى محمد) يجب ان تصدقني انني سوف ابكي ، أبكي تماماً كما بكت فرانسواز ، حين تكون بعيداً ء

وقريباً من فم الموت .

محمد : إبكي يا عزيزتي اذا قدر لك . وتذكري اننا صغار وعظام بآن واحد.

جانيت : (تقترب منه وتأخذ يده بين يديها) هل قدر لك يوماً ، ان ارتجفت من الخوف ؟

محمد : كثيراً ما خفت . . !

جانيت : أو بكيت مرة بصدق وبدموع ومخاط ؟ !

محمد : قليل جداً (يبتسم) حتى ان ذاكرتي تعرض لي الآن تلك الصور بشكل صبياني .

جانيت : (خجلة وتجلس في مكانها السابق) .. آه .. (تومئ برأسها علامة الموافقة)

محمد : ينبغي ان اذهب (بعد ان ينظر لساعة يده) .. سوف ارى بعض اصدقائي وسأشتري لي سجائر .

جانيت : هل يعني هذا انني لا اراك ؟ (تقف)

محمد : (يضحك ويتقدم نحوها ثم يأخذ يديها بين يديه) .. (بتأنيب) ها قد شرعت تنسين كثيراً من الاشياء . كيف لا اراك ؟ !

جانيت : تماماً .. لقد نسيت .

محمد : بل قولي انها صرخات قلبك .

جانيت : (بخجل) أجل .. صحيح .. صحيح .. (فترة صمت طويل)

محمد : ستأتين لحجرتي يا حبيبتي ..

جانيت : (ترفع رأسها ببطء وعيناها مغرورقتان بالدمع) .. نعم ..

قريباً

الناس في بلادي

اول ديوان

للشاعر المصري المجدد

صلاح الدين عبد الصبور

منشورات دار الآداب

ص . ب ٤١٢٣

محمد : (باضطراب) لم تبكين ؟! .. أوه جانيت كوني شجاعة .. (مضطرباً) قبلي لي جان فقد يقدر لي ان لااراه ، وسنبحر من مرسيليا بعد يومين، عند طلوع الفجر .

جانيت : يكون الحراس ورجال الكمارك قد أغفوا بعمق .. (تبتسم وتمسح دموعها)

محمد : أجل .. (بلهجة سريعة) اودعك ياحبيبتي حتى اعود .. الى اللقاء. (يخرج)

المشهد الرابـــع

– جانيت –

(تسير في حجرتها ببطء)

جانيت : آه .. ليتني اعيش لارى فرحة الشوارع ، يوم يصفق كل البشر لكل البشر الاخوة ويعيش الانسان (تجلس على كرسي قريب) لاحلامه وامانيه وحبه ، يوم تفيض الارض بالحب وبالصداقة (تقف ويشتعل في عينيها بريق صارم نفاذ) سأهتف يا بيير بصرختكم المدوية: لتسقط الحرب. ليسقط السلاح ..

– ستـــار –

الفصل الثاني

– الديكور –

لوحة كبيرة تمثل قمم الجبال ، والمنحدرات منها بعيدة عن اعين النظارة ، وفي الركن الايمن منها تبدو زحمة اشجار الكروم الكثيفة ، وترصع السماء غيوم داكنه وقمر يرسل ضوءاً شحيحاً من بين كتل الغيوم الرمادية المزرقة ، وفي وسط المسرح تبدو احجار كبيرة مرصوفة اشبه بطريق جبلي ضيق يطل على واد في الجهة الاخرى المحصوره بين اللوحة والاحجار .

المشهد الاول

محمد ، سعدي الازرق ، عبد الكريم (يرتدون بزات جيش التحرير الجزائري)

عبدالكريم: ها قد فر معظم الليل ونحن صامتون .. (هنيهه) .. وليس لدي تبغ.

سعدي الازرق : سأعطيك من تبغي (يفتح كيساً صغيراً ويعطيه اضمامة من التبغ)

محمد : (يتمتم) .. تبغ وصمت وحنين .. وانتظار (هنيهة) لقد انقضت يا اعزائي بلا رجعة ايام الراحة (يحدث نفسه) وأنشد للاحياء الذين يحلمون وهم واقفون .. (ملتفتاً الى سعدي) تمعن يا سعدي في هذه المقاطع الرائعة (في حماس) وانشد للاحياء الذين يحلمون وهم واقفون .. انه الزمن العظيم (يشد على يدي سعدي) .. لن تجرؤ قوة على وجه الارض ان توقف زحفنا .. (يردد لنفسه) .. كل هذا يا شال افريقيا لن يقتل فيك الاندفاع الحار . (١)

سعدي : سيطول انتظارنا في الكمين ، وابراهيم واحمد ، لم يرجعا بعد .. ؟ ؟

محمد : انا واثق من ان كميننا سيخرس انفاسهم .

سعدي : أجل .. سيكون ذا صوت رائع ورهيب .

محمد : (ضاحكاً) سنلتقطهم بالنار ، مرحبين ، واحداً إثر واحد ..

عبدالكريم : انني اخشى ان لا اراهم جيداً . فهم سود كالخنافس ، (يردد لنفسه) لعنة الله عليهم .. !

(يضحك الجميع)

محمد : وسيرعب صوت الانفجار الطيور الغافية في اعشاشها ، وستهرب الارانب اليقظة وستصاب بالفزع .

عبدالكريم : (متطلعاً الى اللوحة) (يردد في حسرة) ايه .. وراء تلك الجبال والى الشرق قليلا .. هناك قريتي (يقول بسرعة كمن يعاني حصراً نفسياً كبيراً) آه .. ليتني هناك الآن . انام في كوخي الصغير واسمع رفس حماري الوحيد يهش الذباب عن افخاذه .. (يكلم الجميع) .. خلال سبع سنين عاش المسكين معي ، احثه على السير السريع. فلقد كنت احمله القرب واجلب للقرية الماء من النبع .. (مردداً في حسرة) لا ادري ماذا حل به الآن .. ؟

محمد : (في سخرية) مسكين حمارك .. !

عبد الكريم : لا يا محمد.. لازلت اتذكر يوم فارقته وفارقت قريتي (في هدوء) كان ذلك عند فجر احد الايام تماماً كيومنا هذا ، وكان كل شيء يغفو في صمت ، وفزع كل الناس حين دوت زمجرة الرصاص في دروب قريتنا ، وهرب الناس من بيوتهم الطينية ، خائفين مرعوبين والنيران تعلو من بيادر محروقة وصراخ الاطفال والنساء وعواء الكلاب والليل والنيران الراقصة.. (متذكراً) آه .. كل هذا كان يمتزج بحده. وحسب الكثيرون ان القيامة قد قامت .. وخرجت راكضاً . لقد كنت اعرف جيداً انهم سيبدأون بحملة جمع لكل الرجال ثم اعدامهم قرب احد الجدوال .. (هنيهه) هكذا هربت وعشرات من الرجال الى دروب كنا نجهلها (في ألم) .. تلك كانت آخر ليا لي مع حماري وقريتي ..

محمد : كم تثير في عواطف اخافها ، احياناً كثيرة يا كريم.

سعدي : (في عجلة) تخافها ؟ ؟ (هنيهه) كلا ، حين نتذكر ماضينا والآمنا ، ونعيد لذاكرتنا صور المشردين في مليانا والجزائر والمهربين الشيوخ في البحر ، نعرف كم كانت سعادتنا شحيحة بائسة ثم .. ثم نعرف اعماق حقدنا على الخنافس القذرة .

كريم : (يضحك)

محمد : (بقوة) صمت .. ! ! .. انني اسمع وقع اقدام.

سعدي وكريم : (يتحسسان الطريق عند الجهة اليمنى للمسرح برأسيهما) ...

سعدي : (بصرامة) .. تهيأوا ..

(يسمع وقع اقدام تتسلق ووشوشة خافتة من خلف الكواليس)

محمد : (يهيىء بندقيته)

سعدي : هو .. (يصيح بفرح) .. لقد رجعا .

(محمد وكريم يستعيدان وضعهما الطبيعي السابق)

(يدخل ابراهيم محزماً ببندقية واحمد البربري يحمل بندقية وحقيبة صغيرة)

المشهد الثاني

محمد . سعدي . كريم . ابراهيم واحمد البربري

(ابراهيم واحمد يجلسان قرب جماعتهما في شبه استعداد عسكري حذر)

ابراهيم : (في هدوء ومرح) .. كنت احرس الممر ، وكان احمد يشد باسلاكه (هنيهه) كم وددت لو أغفو قليلا .

(١) من قصيدة لشاعر فرنسا الوطني جاك دي بوا .

٧٠

محمد : اهكذا تنفو بكل بساطة ؟؟

ابراهيم : (ضاحكاً) أتدري يا محمد ، الليل والسكون أوحيا الي بالنوم .

محمد : (مردداً جملته السابقة) لقد انقضت بلا رجعة ايام الراحة (يحدث نفسه) وأنشد للأحياء الذين يحلمون وهم واقفون ..

احمد البربري : سنرجع ثانية . وعلينا الآن فقط ان ننتظر مرور القافلة.

كريم : حسناً (في ثقة) سأنتظر حتى الف عام .. (في حسرة) آه قريتي المسكينة.

سعدي : سيكون الانفجار ذا صوت رهيب ورائع.

إبراهيم : لاحدثكم .. (فترة صمت قصير ، الجميع يبدون اهتماماً) .. قبل يومين ارسلوني للمدينة (يبتسم) وكنت ارتدي بدلة متهرئة ، عتيقة مضحكة (مستدركاً) لقد ضحك معظم الثوار حين تقمصت هيئة طفل شحاذ (فترة صمت قصير ، يتحول وجه ابراهيم الى صورة حزينة كامدة)

الجميع : حسناً ما هي اخبارها ؟؟

ابراهيم : (مطرقاً) .. قتل التاجر حسن العربي (همهمة استحسان من الجميع – رافعاً رأسه بتثاقل) كانت جثته مطروحة امام مخزنه حتى ان احدى ساقيه كانت عند مدخل بوابته ووجهه غارق بالدم ، مطروحاً على جنبه ، واصابع يده اليمنى متحجرة فوق شيء خفي (وجهه يعبر عن اشمئزاز للذكرى) .. ووقف عند جثته حارسان فرنسيان .

محمد : (بلهجة سريعة) وماذا حدث بعدئذ ؟؟

ابراهيم : ثم جاء عواء سيارة المستشفى ونقلته .

سعدي : ليقبروه في بالوعة .. هاها .. (يواصل ضحكه)

احمد : وباقي الاخبار ؟؟ أهذه كل اخبار المدينة ؟؟

ابراهيم : (فترة صمت) لقد ذهبت الى بيتنا (صمت طويل – حزيناً) لقد قتلوا والدي .

كريم : (غاضباً) لابد من وشاية ! ؟

ابراهيم : (ماسحاً بندقيته بحنان) .. اجل (هنيهه) .. لقد رفض باباء ان يهديهم علي

محمد : (بحسرة وألم) وأمك يا ابراهيم ؟!

ابراهيم : يقولون انها قاربت الجنون . ومزقت ثوبها بعد ان جلبوا جثة والدي مربوطة من ارجلها يجرجرونها (ينهض ويبكي بألم) كانوا يسحبونها بشدة فوق التراب .

محمد : يا الله (يضرب قدمه على الارض بشدة وحنق)

سعدي : (بحدة وبوميض حاقد من خلال نظراته) .. ارادوا ان يخوفوا الناس ويجبروهم على الخيانة (هنيهه) سنعلمهم ان يلعقوا الوحول بالسنتهم الداعرة .

كريم : واذا ما انتصروا يجب ان نحرق كل شيء فوق ارضنا .

سعدي : (الى كريم) هيه .. لقد بدأت تخاف !

محمد : (الى كريم) ينبغي ان تقول (باعتزاز) ان رصاصنا سيخسف اجسادهم (بلهجة تذكير) لا تكن بائساً فقيراً كدوملك ابداً.

كريم : كان جدي مهرباً ، وحين كانت تطبق عليهم لحظة الخطر ، كانوا يغرقون كل شيء .

محمد : دوماً وابداً . جدي ، كان جدي (ملتفتاً اليه في قوة) دع جدك راقد في قبره بصمت (هنيهه) علينا ان نواجه وضعاً جديداً اليوم .

سعدي : (بهدوء) .. انه يجرجر وراءه ماضيه الساذج .

سعدي : اسمع يا احمد ، ستهبطون عند اسفل هذا الطريق (هنيهه) بينما نكون نحن مواجهين الجسر (يومئ خلال كلامه باشارات توضيحية من يديه) وفي اللحظة التي تعقب الانفجار وبعد ان يسحبوا جراحهم وذهولهم افتح النار (توقف قصير) انت وابراهيم من مكمنكما ونحن من هنا .

محمد : أظن انه لا زال هناك وقت طيب نستطيع ان نضحك فيه قبل ان نموت ؟

سعدي : لا زالك امامنا (ينظر لساعته)

(ابراهيم يبقى مطرق الرأس ويمسح بكفه في اناة على بندقيته)

محمد : (يتنفس بشهيق عميق) آه .. كم يلذ ان اتفلسف قليلا.

(يضحك الجميع ، ابراهيم يبتسم)

ابراهيم : (مبتسماً) تفلسف اذن ؟!

محمد : (مستدركاً) .. نضحك .. كم هي رائعة هذه الكلمة . (هنيهه) تصوروا نضحك .. ! هاها .. نضحك ونحن في بركة الدم ؟ (يبدو الانفعال الشديد على وجهه) .. هناك ساعات ايها الاصدقاء يعيشها الانسان لنفسه بكل امانة وصدق (فترة صمت قصير) قد يعيش ماضيه بكل قسوته ويتطلع الى غده من خلال قتامه ودكنة معركة صراعه (هنيهه) وكنت اجبر نفسي على التفكير . عندما نقذف بالموت في حناجر الحناقس (بشدة) كيف يفكر كريم بثورتنا (هنيهه) ما هي احاسيس ابراهيم الصغير ازاء الثورة ؟! (هنيهه) أيامل احمد البربري الخروج سالماً من المعركة ؟ حتى ولو أخذ اسيراً وعذب بايدي السنغاليين القذرة ، وتحمل رفسات المستجوبين من حثالة الفرنسيين . جنوداً كانوا ام ضباطاً ؟؟ (هنيهه) وسعدي كيف يطرح في دماغه فلسفة الثورة (الجميع يصغون ويلتفت اليهم) اولا تجدون ان لثورتنا فلسفة رائعة ؟!

سعدي : ككل حدث في التاريخ لم تكن عفوية ابداً .

محمد : مرحى .. (بسرور) .. مرحى .. هي ذي ، لم تكن عفوية ابداً .

سعدي : وبالنسبة لنا .. (هنيهة) لا زال الكثيرون من العمال في احواض السفن ، يسرقون شيئاً من البضائع .

محمد : ويتابع آخرون في المدن العيش في سكون وامل وتفاهة (متعجباً) ابداً كأن لم يحدث شيء هنا ! ! (هنيهه) في الوقت الذي نزرع فيه الثورة ونموت ، يتابع (بألم) كثير من ابناء شعبنا مرحهم الساذج والماجن ، ويشددون حرصهم على الاشياء الصغيرة البسيطة .

ابراهيم : ولكن في كل المدن ثواراً كثيرين يحسنون اخفاء انفسهم.

محمد : هذا حسن .. ولكن ليس الجميع .

سعدي : ان هذا مستحيل . فكل البسطاء الطيبين يعطفون علينا .

احمد : (باستغراب) يعطفون ! ! ؟؟ وماذا يجديني عطفهم بعد ان اكون جثة ؟؟

تطلب « الآداب »

في مدينة « فاس »

بمراكش

من مكتبة العلمي

زقاق لهجر ٥١

محمد : (بهدوء) استبقي في اعماق قلوبهم صورة دمائك النقية .

سعدي : تذكر يا احمد اننا من لحم ودم (هنيهة) مزيج كثيف من خوف وشجاعة وحب وحقد ويأس وامل ، تذكر هذا ، ولكن من السخف مطالبة الانسان باكثر من طاقته (بلهجة طبيعية) ذلك لان كلا منهم يعطينا قدر امكانيته .

ابراهيم : حين كنا في منطقة وهران ، كانت أم سيدي أحمد تجمع لنا ، من كل بيوت القرية ، الطحين والبيض ، ومرات كثيرة بعض اللحوم وترسله لنا (مستدركاً) وكثيراً من المرات كنت اجلب هدايانا هذه بنفسي .

محمد : (مردداً لنفسه) أم سيدي أحمد .. يا الله . كم اتمنى ان اعيش لاصور امثال هذه النفوس الساذجة والعظيمة لحد رهيب (الى احمد) أقتلت في حياتك انساناً ؟ ؟

احمد : (بحركة من رأسه) كلا .. ابداً (لا يبدو الامتعاض على وجهه)

محمد : حسناً .. (هنيهة) ولكن هل تعلم ما هو القتل ؟ !

احمد : بكل وضوح .

محمد : هذا يعني ان نفكك ضلوع جماجمهم تحت نيراننا ، وتتطاير صفرة ادمغتهم وتختلط بالتراب .

ابراهيم : (بدهشة) أرأيته ؟ !

محمد : من ؟ !

ابراهيم : الوطني الذي كان مقتولا بهذه الطريقه .

محمد : كلا . لقد كنت آنذاك في باريس .

ابراهيم : (معقباً) ولكنك تتكلم كما لو شاهدته بنفسك (هنيهه) ياله من منظر بشع ! فلقد اغمضت عيني (متقززاً من الذكرى — هنيهه)

محمد : لقد ارادوها حرباً قذرة بهذه البشاعة ، لقد ارادوا سحق قلب الانسان وطمس الشوق الطاغي الهادر في اعماقه الى النور والفرح والامل (يصر باسنانه) تباً لهم من كلاب جرباء .

احمد : كم يؤلمني حين افكر بالموت (فترة صمت قصير) .. تلك الجمجمة المتناثرة التي تحدثت عنها يا محمد ، ستغدو جثتها يوماً سماداً لشجره ، وقد تغدو طعاماً لذئب جائع (هنيهه) حينما كنت صغيراً كانت امي تحدثني عن الموت والجنة والخير (توقف) .. والآن .. اعيش احتضار ذكريات طفولتي وصباي ازاء اصرار معرفتي العنيد .. كيف يمكن ان يحدث هذا التحول المفزع (صارخاً بشدة)

سعدي : (بنظرة صارمة الى احمد) لديك ما تخشى فقده ، ها ؟ ؟

محمد : كلا .. انه يرتعش فقط (الى سعدي) لا زال تراب كراسي الدراسة لاصقاً في ثيابه .. (يبتسم بشده) انا واثق . حين تصيب لعلعة الرصاص أذنيه سينسى نفسه !

سعدي : (الى احمد بصوت خافت) يبدو انك حين وضعت ديناميتك اسفل الجسر ، كان بلعومك جافاً وساقاك ترتجفان .. !

احمد : ابداً .. لقد احسست بارتعاش في اصابعي (هنيهه) لقد شددته باحكام .

سعدي : وحين لا ينفجر ديناميتك ، هذا يعني انك ستكون في بدء مرحلة التسمد او في الطريق الى فم الذئب .

احمد : (بتعجب) تهديد .. ؟ ؟ ؟

سعدي : كلا .. (هنيهه) انهم هم الذين سيقتلوننا

ابراهيم : سأذهب لارى جيداً (صمت طويل)

احمد : سأرجع ثانية .

محمد : لم يبق لدينا وقت طويل ..

سعدي : ستشرق الشمس بعد قليل من الوقت .

(يضاء مصباح للمسرح)

(احمد يحمل المحفظة وسلاحه ، يتبعه ابراهيم مسلحاً ثم يخرجان)

سعدي : أرجعا الى اماكنكما بعدئذ .. (فترة صمت طويل)

المشهد الثالث

محمد ، سعدي ، كريم

محمد : ايه .. ان الآخرين ينامون في مطلع الفجر بهدوء رائق ، يتوسدون احلامهم البيضاء كالزنبق ويتوسد آخرون اذرع امهاتهم الدافئة كضحك العذارى ، او يشدون على خصور زوجاتهم المرتعشة بالامل الكبير . (هنيهه) وتلسع برودة احتضار الليل اجسادهم ، فيتدفأون متمتمين اشياء غامضة . كئيبة ومفرحة .. (فترة صمت قصير) .. ايه .. وهنا (متطلعاً الى جسده) نحس نداوة دموع السكون المظلم ، امام الوليد المتوهج بالفضة ، وأعيننا يقظة لا سبيل للخدر اليها .

سعدي : باه .. تتكلم كشاعر .

محمد : (يضحك باشراق) تماماً .. (هنيهه) هناك كنت القب هكذا ايضاً .. (سعدي يبتسم ويدخن كريم غليوناً صغيراً) .. لقد أحببت ان اكون اديباً منذ زمان بعيد ففشلت . او هكذا تراءى لي على الأقل (بعزم) ولكنني كنت اريد ان اهرب من ميدان الفكر والادب (هنيهه) واستطعت بعد زمن ان اكون صحفياً وقرأت الكثير من الكتب . وهكذا تفاعلت في وجودي كله كلمات جديدة اعبر بها عن آرائي وعواطفي بشكل حسن !

سعدي : وهذا يعني انك تقف في صفوف الطليعة !

محمد : لانني صحفي ؟ ؟ !

سعدي : بل لانك قادر على الفهم والتصور لبشاعة واقعنا وآمالنا واشيائنا الصغيرة الطيبة

محمد : (ضاحكاً) ثم .. يندفع شيء من التردد الى نفسي .. وارتعش امام الدم !

سعدي : لا .. لا .. (يربت على فخذه في مودة) .. اراك تجيد التعبير بصدق عن نفسك (هنيهه ومبتسماً) انك طيب يا محمد .

محمد : لا يا عزيزي .. (يكتسي وجهه قسوة) حين ادافع عن وجودينا وعن ابراهيم الصغير ، عن السنبلة المرتعشة في حقل كلون الذهب ، وعن مرح الطيور المغردة فوق شجيرات الكروم الخضراء ، وانتصب كسد عالي لأوقف اندلاع النيران من القلوب التي يخرسها ثقل الرصاص وان احسن الدفاع عن اغانينا الكريمة وذكرياتنا ، اكون قد حققت بعضاً من طيبتي . ويحق لي ان افخر وافرح (فترة صمت قصير — مؤكداً لنفسه) لن تجرؤ اية قوه ان تكون شرطياً خالداً ، يرقب بصرامة وقسوة حدود فرحنا العظيم بالثورة . ابداً لن تقدر ! (يتمشى ببط) آه يا صديقي ، قبل ان اعي جوهري ، كنت في باريس آنذاك . اعيش خالي الرأس والقلب (بهزء) اتزوج لليلة فقط ، بعد ان يحتويني مشرب صغير ويلفظني في آخر الليل الى الدروب الهادئة واكون قد حملت ثقل رأسي المترنح (هنيهه) وفي الصباح ألج دوامة البلاده الرهيبة ، اخبار هنا .. اخر الموديلات .. حفلات رخيصة .. ثم اكتب كل هذا واعطيه لجريدة تافهة .. وكنت اتابع الحفاظ على كينونتي الثقيلة والقلقة

سعدي : واظن انك تحتفظ ببعض ماضيك (يضحك)

٧٢

محمد : كلا .. (بشدة) اريد فقط ان استعيد ماضي ، لأحس مرارته ... (ينحني قرب سعدي) .. ولكنني وجدت الارض التي ينبغي ان اقف فوقها (هنيهة) – وبتثاقل في النطق) وخلال سنين سبع وبنضال لا هوادة فيه ، حاربت ظلامية اعماقي الكدرة ، وأجاهد اليوم لكنس الدنس الذي يلوث الأرض ..

كريم : (مقاطعاً) كم من الالفاظ القريبة نطقت بها (يتساءل) ماذا قلت ؟ (هنيهة) الامل العظيم ؟! و .. و .. ماذا قلت ايضاً ؟!

محمد : (ضاحكاً) أجل .. انني اتكلم بلغة ..

سعدي : (مكملا) المثقفين ..

محمد : آه يا سعدي .. (هنيهة) تتكلم برجولة رائعة

كريم : أوه .. مرة اخرى هذا الرائع ؟! (يضاء مصباح آخر للمسرح – (يضحكون)

سعدي : لقد أحترقت شيئين منذ عشرين عاماً .. الثورة والكتاب. فليست ثورتنا ضربة مروحة (١)

محمد : أجل لقد تبدل الزمن.

كريم : (مقاطعاً) اسمعوا .. (فترة صمت ، يسمع هدير ضعيف لعجلات سيارات يزداد شيئاً فشيئاً)

سعدي : اخفضوا رؤوسكم جيداً .. (يأخذون اسلحتهم ويهدفونها بوضع الاستعداد للاطلاق)

كريم : كان جدي مهرباً على ساحل البحر ، و ...

محمد : اخفض رأسك.

سعدي : (بلهجة آمره) ... صمت ! (يتطلع برأسه) .. الصغير يركض الى مكمنه بسرعة !

محمد : جاءوا قبل موعدهم المحدد ! (هدير السيارات يقترب بوضوح)

كريم : يالله ، انني ارى السيارة الاولى.

محمد : يالهم من سفله !

سعدي : انهم يتكدسون في شاحناتهم.

كريم : يالله .. (مردداً) يالله .. سيكون نصراً خيراً.

محمد : (بنفاد صبر) سدد سلاحك جيداً ، وكف عن الله الآن وأصمت !

كريم : (مجيباً في ذهول) نعم .. (هنيهه) نعم ! (يسمع الهدير بجلاء وقوة)

محمد : وبعد صوت الانفجار ، يحل سكون مزيع ومظلم .

كريم : اخشى ان لا اراهم جيداً ! ؟ (يبدو القلق على الجميع)

سعدي : السيارة الاولى تمر فوق الجسر.

(يندلع لهب قوي من خلف اللوحة –

الجميع متحفزون لرؤية جنود الاعداء –

كريم : (يصرخ بفرح) هيء .. خنافس (يطلق النار . وتختلط اصوات اطلاقات البنادق والرشاشات ، ويخرس كريم فجأه –

(بينما يستمر صوت تجاوب النيران من البنادق ، تسمع صرختان حادتان من خلف الكواليس)

الصوت : (بعنف وحشي) .. اعداء .. اعداء ..

محمد : (محمد يقف ويطلق النار – يسمع وقع اقدام ثقيله تقترب وصوت ينادي)

الصوت : محمد ... آه ... محمد ...

(يدخل ابراهيم ملطخاً جنبه الايسر بدم طري)

(١) إشارة الى غضبة الداي حسن العربي الجزائري على مسيو ديفال الحاكم الفرنسي وضربه بالمروحة التي كانت في يده .

المشهد الرابع

الاشخاص انفسهم وابراهيم

ابراهيم : آه .. (يجر نفسه الى وسط المسرح ثم يقع)

(يصاب محمد بفخذه بطلق ناري ويسقط)

ابراهيم : ماء .. (ينادي بصوت ضعيف) مجر ... د ... مـا ... ء

محمد : (يتلفظ من خلال صرير اسنانه) آه .. ساقي (تصطبغ فخذه بالدم ويجر نفسه الى جوار ابراهيم)

ابراهيم : م .. ـا .. ء .. اريـ .. د ماء (يترك محمد سلاحه ، ويبد واحدة يفتح خزانه ويدفعه في فم ابراهيم ، ويبقى سعدي يواصل اطلاق النيران من مدفعه الرشاش ، متنقلا من طرف الى آخر بخفة)

محمد : اين احمد ؟ (موجهاً السؤال الى ابراهيم)

ابراهيم : (بتألم) آه .. (يقف اطلاق النيران ، يتجه سعدي نحو كريم فيدفعه من يده ، ينقلب كريم الى الارض جثة باردة)

سعدي : سأرجع .. (الى محمد)

محمد : تصلب يا ابراهيم ، تكلم اين احمد ؟ ؟

ابراهيم : آه .. (يتحدث في بطء) ، حين .. (هنيهة) .. حين ظهرت خوذهم ، اندفع .. آه (يئن) اندفع كالمجنون نحوهم يصرخ : اعداء .. اعداء . (ثم (يصمت لحظة) .. آه .. ثم سقط .. لم اجد له رأساً .. آه .. انني أختنق (يتنفس في شهيق قوي – ماسكاً يد محمد ورافعاً وسطه في جهد) أريد هواء . آه .. آ .. ه .. ، أختنـ .. ق آه .. آ .. (يقع ميتاً)

محمد : (يصرخ بغضب لصوص) .. مات ابراهيم وقتلم احمد وكريم (يتهدج صوته بألم عميق) .. ساقي تنزف دماً .. انني أتألم .. آه .. لن استطيع الحراك (يعبيء طلقة في بندقيته)- (يدخل سعدي ويتقدم نحوه غاضباً)

سعدي : أجننت ؟!

محمد : (بخشونة) كلا ، دعني .. لا اريد ان اقع بين اظافرهم (هنيهة). سوف تأتيهم نجدات سريعة .. آه .. سعدي ، ساقي .. (بحنان) دعني اموت هنا.

سعدي : كلا . سأحملك الى المقر ..

محمد : (بتعب) .. لا .. لا .. سأكون عبئاً ثقيلا عليك .

سعدي : كن شجاعاً يا محمد . (هنيهة) تحمل آلامك ودعني احملك .

محمد : والآخرون .. ساقي ..

سعدي : (يلتفت الى جثتي كريم وابراهيم ويتطلع عبر الصخور الى جثة احمد)

محمد : آه .. ساقي (يسقط محمد اعياء فيسنده سعدي من ظهره)

سعدي : (يلطمه على وجهه) محمد ! محمد !

محمد : (يضيق في بطء) نعم .. ستنتشر انباء معركتنا غداً (هنيهه) ثلاثة ماتوا وجرح رابع (بسخرية) وضحاياهم ؟؟

سعدي : دعني احملك الى المقر ، سيبدأ الآخرون بكنس ميدان المعركة واخشى ان نظل هنا .

محمد : (ماسكاً يد سعدي) صدقني ، لا اقدر على الحركة .. (يحرك ساقه عبثاً) لا اقدر ابداً ، سعدي ، ارجوك دعني هنا ، وسأحتفظ بالرصاصة الأخيرة لرأسي الطيب .. (بعنف) آه .. سأفرغ هذا الرأس من الاماني ، وسأدفع في افواههم الحقد والرصاص . آه .. لن أقدر ان اكتب اليها بعد الآن !

سعدي : (ينهض) سأخفي الجثث .. (يتقدم ويسحب جثة كريم خلف الكواليس ، ثم يتقدم نحو جثة ابراهيم - يبدأ صوته في ارتفاع تدريجي) سنثأر لكم .. سنثأر لقتلانا في تبسه وقسطنطينه وتلمسان . سنثأر للرقاب التي تقطع في معتقل غورس الرهيب (يقف منتصباً) سنلقن اطفالنا الحقد والثورة . سنلقن الطيور والكلاب والورق والرضع الذين يحبون ان يحقدوا على القتلة وقطاع الطرق (في ثقة) اننا المقاتلون في دروب الشمس المشرقة (يصرخ في غضب ويده تهدد) اننا عظام .. عظام لاننا نمثل حقيقة الانسان الرائعة (ينحني الى ابراهيم وفي صوت حزين متألم) سألقي جسدك الصغير بين الصخور (يصل لحد البكاء) سيكون صعباً علي ان لا اراك بعد الآن ، ضاحكاً ، خيراً ، نقياً (في حسرة) ليتني املك الوقت لدفنكم الآن .

(يسحب جثة ابراهيم خلف الكواليس)

محمد : آه .. ليتني استطيع ان ابصق في احشائهم . بصاقنا المر الممزوج بالدم. وأفجر جماجمهم السوداء كاللعنه .. آه ساقي .. كان فيهم الخوف والشجاعة . كان الحنين الى البيت والعمل والاصدقاء يرقص في حنايا قلوبهم (في هدوء وحقد) ثم افرغوا الصمت في قلوبهم .

(يعود سعدي)

سعدي : هيا الان .. (يرفعه من كتفيه ويسنده الى صدره ثم يهمان بالخروج)

محمد : صبراً يا سعدي .. (في شوق) اود ان اصرخ لاسمعهم صوتي .. سأقول . . آه لقد متم فوق ارضنا الكبيرة والحيرة ايها الاصدقاء . . رض الجزائر .. آه (يتابعان سيرهما من جهة اخرى للمسرح) وداعاً .. آه .. (بقوة قرب نهاية المسرح) وداعاً ايها الاصدقاء الطيبون (يختفون خلف الكواليس ويبقى الصوت يردد) وداعاً ... وداعـــاً .

ستار

— انتهـــى —

بغداد «جيان»

منشورات

مكتبة الاندلس

بيروت - لبنان

تقدم في نهاية الشهر الحالي

أروع قصص البطولات والتضحية في اعظم صفحة من صفحات التاريخ العربي المجيد المليء بالمحامد والمفاخر - رواية

ابن عامر

او

سقوط غرناطة

بقلم الشاعر الخالد

فوزي معلوف

وبكل فخر تقدم ايضاً كتاب

تاريخ الامة العربية

عصر الانبثاق

ويشتمل على تاريخ العرب قبل الاسلام ، كتاب يجب على كل عربي أن يقتنيه لمعرفة تاريخ بلاده وقوميته ولغته وأمجاده . كتاب كتب بالاسلوب العلمي الصحيح بعد أن شبعنا من كتب المستشرقين وتشويههم لكثير من الحقائق

بقلم الاديب الكبير

الدكتور محمد أسعد طلس

دار مكتبة الاندلس

بيروت - شارع سوريا - لبنان

هاتف (٢٨٠١٠)

٧٤